الإمام الحسين (عليه السلام) الوليد المبارك

<"xml encoding="UTF-8?>

وأفرعت دوحة النبوة وشجرة الإمامة الذرية الطاهرة التي تشكل الامتداد الرسالي بعد النبي (ص) فكان الوليد الأول أبا محمد الزكي ، وقد امتلأت نفس النبي (ص) سرورا به ، فأخذ يتعاهده ، ويغذيه بمثله ومكرمات نفسه التي طبق شذاها العالم بأسره (1) .

ولم تمض إلا أيام يسيرة حددها بعض المؤرخين باثنين وخمسين يوما (2) حتى علقت سيدة النساء بحمل جديد ظل يتطلع إليه الرسول (ص) وسائر المسلمين بفارغ الصبر ، وكلهم رجاء وأمل في أن يشفع الله ذلك الكوكب بكوكب آخر ليضيئا في سماء الأمة الاسلامية ، ويكونا امتدادا لحياة المنقذ العظيم .

رؤيا أم الفضل :

ورأت السيدة أم الفضل بنت الحارث (3) في منامها رؤيا غريبة لم تهتد إلى تأويلها ، فهرعت إلى رسول الله (ص) قائلة له : " إني رأيت حلما منكرا كأن قطعة من جسدك قطعت ، ووضعت في حجري ؟ . . . " .

فأزاح النبي (ص) مخاوفها ، وبشرها بخير قائلا : " خيرا رأيت ، تلد فاطمة إن شاء الله غلاما فيكون في حجرك . . "

ومضت الأيام سريعة فوضعت سيدة النساء فاطمة ولدها الحسين فكان في حجر أم الفضل ، كما أخبر النبي (ص) (4) .

وظل الرسول (ص) يترقب بزوغ نجم الوليد الجديد الذي تزدهر به حياة بضعته التي هي أعز الباقين والباقيات عنده من أبنائه وبناته .

الوليد المبارك :

ووضعت سيدة نساء العالمين وليدها العظيم الذي لم تضع مثله سيدة من بنات حواء لا في عصر النبوة ، ولا فيما بعده ، أعظم بركة ولا أكثر عائدة على الانسانية منه ، فلم يكن أطيب ، ولا أزكى ولا أنور منه .

لقد أشرقت الدنيا به ، وسعدت به الانسانية في جميع أجيالها ، واعتز به المسلمون ، وعمدوا إلى احياء هذه الذكرى ، افتخارا بها في كل عام ، فتقيم وزارة الأوقاف في مصر احتفالا رسميا داخل المسجد الحسيني اعتزازا بهذه الذكرى العظيمة كما تقام في أكثر مناطق العالم الاسلامي .

وتردد في آفاق يثرب صدى هذا النبأ المفرح فهرعت أمهات المؤمنين وسائر السيدات من نساء المسلمين إلى دار سيدة النساء ، وهن يهنئنها بمولودها الجديد ، ويشاركنها في أفراحها ومسراتها .

وجوم النبي (ص) وبكاؤه :

ولما بشر الرسول الأعظم بسبطه المبارك خف مسرعا إلى بيت بضعته فاطمة (ع) وهو مثقل الخطأ قد ساد عليه الوجوم والحزن ، فنادى بصوت خافت حزين النبرات .

" يا أسماء هلمي ابني " .

فناولته أسماء ، فاحتضنه النبي ، وجعل يوسعه تقبيلا ، وقد انفجر بالبكاء فذهلت أسماء ، وانبرت تقول : " فداك أبي وأمي مم بكاؤك ؟ ! ! " .

فأجابها النبي (ص) وقد غامت عيناه بالدموع .

" من ابني هذا " .

وملكت الحيرة إهابها فلم تدرك معنى هذه الظاهرة ومغزاها فانطلقت تقول : " إنه ولد الساعة " .

فأجابها الرسول بصوت متقطع النبرات حزنا وأسى قائلا : " تقتله الفئة الباغية من بعدي لا أنالهم الله شفاعتي . . . " .

ثم نهض وهو مثقل بالهم وأسر إلى أسماء قائلا : " لا تخبري فاطمة فإنها حديثة عهد بولادة . . . " (5) .

وانصرف النبي (ص) وهو غارق بالأسى والشجون ، فقد استشف من وراء الغيب ما سيجري على ولده من النكبات والخطوب التي تذهل كل كائن حي .

سنة ولادته :

واستقبل سبط النبي (ص) دنيا الوجود في السنة الرابعة من الهجرة (6)

وقيل في السنة الثالثة (7) واختلف الرواة في الشهر الذي ولد فيه فذهب الأكثر إلى أنه ولد في شعبان ، وأنه في اليوم الخامس منه (8) ولم يحدد بعضهم اليوم ، وإنما قال : ولد لليالي خلون من شعبان (9) وأهمل بعض المؤرخين ذلك مكتفيا بالقول أنه ولد في شعبان (10) وذهب بعض الاعلام إلى أنه ولد في آخر ربيع الأول إلا أنه خلاف المشهور فلا يعني به (11) .

مراسيم ولادته :

وأجرى النبي (ص) بنفسه أكثر المراسيم الشرعية لوليده المبارك ، فقام (ص) بما يلي :
أولا – الأذان والإقامة :

واحتضن النبي وليده العظيم فأذن في أذنه اليمنى ، وأقام في اليسرى (12) وجاء في الخبر " أن ذلك عصمة للمولود من الشيطان الرجيم " (13) .

إن أول صوت اخترق سمع الحسين هو صوت جده الرسول (ص) الذي هو أول من أناب إلى الله ، ودعا إليه ، وأنشودة ذلك الصوت : " الله أكبر لا إله إلا الله . . . " .

لقد غرس النبي (ص) هذه الكلمات التي تحمل جوهر الايمان وواقع الاسلام في نفس وليده ، وغذاه بها فكانت من عناصره ومقوماته ، وقد هام بها في جميع مراحل حياته ، فانطلق إلى ميادين الجهاد مضحيا بكل شئ في سبيل أن تعلو هذه الكلمات في الأرض ، وتسود قوى الخير والسلام وتتحطم معالم الردة الجاهلية التي جهدت على اطفاء نور الله .
ثانيا – التسمية :

وسماه النبي (ص) حسينا كما سمى أخاه حسنا (14) ويقول المؤرخون لم تكن العرب في جاهليتها تعرف هذين الاسمين حتى تسمي أبناءهما بهما ، وإنما سماها النبي (ص) بهما بوحي من السماء (15) .

وقد صار هذا الاسم الشريف علما لتلك الذات العظيمة التي فجرت الوعي والايمان في الأرض ، واستوعب ذكرها جميع لغات العالم ، وهام الناس بحبها حتى صارت عندهم شعارا مقدسا لجميع المثل العليا ، وشعارا لكل تضحية تقوم على الحق والعدل .
أقوال شاذة :

وحفلت بعض مصادر التاريخ والاخبار بصور مختلفة لتسمية الإمام الحسين (ع) لا تخلو من التكلف والانتحال

وهي :

1 – ما رواه هانئ بن هانئ عن علي (ع) قال : لما ولد الحسن جاء رسول الله (ص) فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت : سميته حربا ، قال : بل هو حسن ، فلما ولد الحسين قال : أروني ابني ما سميتموه ؟

قلت : سميته حربا ، قال : بل هو حسين ، فلما ولد الثالث جاء النبي صلى الله عليه وآله فقال : أروني ابني ما سميتموه ؟ قلت : حربا ، فقال بل هو محسن (16) .

وهذه الرواية – فيما نحسب – لا نصيب لها من الصحة وذلك :

أ – أن سيرة أهل البيت (ع) قامت على الالتزام بحرفية الاسلام وعدم الشذوذ عن أي بند من أحكامه ، وقد كره الاسلام تسمية الانباء بأسماء الجاهلية التي هي رمز للتأخر والانحطاط الفكري ، مضافا إلى أن هذا الاسم على لجد الأسرة الأموية التي تمثل القوى الحاقدة على الاسلام والباغية عليه ، فكيف يسمي الامام أبناءه به ؟ ! ! .

ب – إن اعراض النبي (ص) عن تسمية سبطه الأول به مما يوجب ردع الامام عن تسمية بقية أبنائه به .

ج – إن المحسن باتفاق المؤرخين لم يولد في حياة الرسول (ص) وإنما ولد بعد حياته بقليل ، وهذا مما يؤكد انتحال الرواية وعدم صحتها .

2 – روى أحمد بن حنبل بسنده عن الإمام علي (ع) قال : لما ولد لي الحسن سميته باسم عمي حمزة ، ولما ولد الحسين سميته باسم أخي جعفر فدعاني رسول الله (ص) فقال : إن الله قد أمرني أن أغير اسم هذين فسماهما حسنا ، وحسينا " (17) . وهذه الرواية كسابقتها في الضعف فان تسمية السبطين بهذين الاسمين وقعت عقيب ولادتهما حسب ما ذهب إليه المشهور ولم يذهب أحد إلى ما ذكره أحمد.

3 – روى الطبراني بسنده عن الإمام علي (ع) أنه قال : لما ولد الحسين سميته باسم أخي جعفر فدعاني رسول الله (ص) وأمرني أن أسميه حسينا (18) ، وهذه الرواية تضارع الروايتين في ضعفها فان الامام أمير المؤمنين عليه السلام لم يسبق رسول الله (ص) في تسمية سبطه وريحانته وهو الذي أسماه بذلك حسب ما ذهب إليه المشهور وأجمعت عليه روايات أهل البيت (ع) .

ثالثا : العقيقة :

وبعدما انطوت سبعة أيام من ولادة السبط أمر النبي (ص) أن يعق عنه بكبش ، ويوزع لحمه على الفقراء كما أمر أن تعطى القابلة فخذا منها (19) ، وكان ذلك من جملة ما شرعه الاسلام في ميادين البر والاحسان إلى الفقراء .

رابعا : حلق رأسه :

وأمر النبي (ص) أن يحلق رأس وليده ، ويتصدق بزنته فضة على الفقراء (20) فكان وزنه – كما في الحديث – درهما ونصفا (21) وطلى رأسه بالخلوق (22) ونهى عما كان يفعله أهل الجاهلية من اطلاء رأس الوليد بالدم (23) .

خامسا : الختان :

وأوعز النبي (ص) إلى أهل بيته باجراء الختان على وليده في اليوم السابع من ولادته ، وقد حث النبي (ص) على ختان الطفل في هذا الوقت المبكر لأنه أطيب له وأطهر (24) .

---

(1) ذكرنا عرضا مفصلا لولادة الامام الزكي أبي محمد (ع) في كتابنا حياة الإمام الحسن 1 / 49 – 56 .

(2) المعارف لابن قتيبة (ص 158) .

(3) أم الفضل : هي لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب وهي أول امرأة أسلمت بمكة بعد السيدة خديجة بنت خويلد ، وكانت أثيرة عند النبي (ص) فكان يزورها ، ويقيل في بيتها ، روت عنه أحاديث كثيرة ، ولدت للعباس الفضل ، و عبد الله ، وعبيد الله وقثم وعبد الرحمان وأم حبيب ، وفيها يقول عبد الله بن يزيد الهلالي ما ولدت نجيبة من فحل * بجيل نعلمه أو سهل كستة من بطن أم الفضل * أكرم بها من كهلة وكهل عم النبي المصطفى ذي الفضل * وخاتم الرسل وخير الرسل ترجمت في كل من الطبقات الكبر 8 / 278 ، والإصابة 4 / 464 والاستيعاب .

(4) مستدرك الصحيحين 3 / 127 ، وفي مسند الفردوسي ، قالت أم الفضل : رأيت كأن في بيتي طرفا من رسول الله (ص) فجزعت من ذلك ، فأتيته ، فذكرت له ذلك ، فقال (ص) : هو ذلك ، فولدت فاطمة حسينا ، فأرضعته حتى فطمته ، وفي تاريخ الخميس 1 / 418 ان هذه الرؤيا كانت قبل ولادة الإمام الحسن (ع) .

(5) مسند الامام زيد (ص 468) وفي أمالي الصدوق (ص 120) أن النبي (ص) أخذ الحسين بعد ولادته ، ثم دفعه إلى صفية بنت عبد المطلب وهو يبكي ويقول : لعن الله قوما هم قائلوك يا بني قالها : ثلاثا ، قالت فداك أبي وأمي ، ومن يقتله ؟ قال تقتله الفئة الباغية من بني أمية .

(6) تاريخ ابن عساكر 14 / 313 ، تهذيب الأسماء 1 / 163 ، مقاتل الطالبين (ص 78) خطط المقريزي 2 / 285 ، دائرة المعارف للبستاني 7 / 48 ، جوهرة الكلام في مدح السادة الاعلام (ص 116) الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ليحيى بن الحسين المتوفى سنة (424 هـ) من مصورات مكتبة الإمام الحكيم ، الذرية الطاهرة من مخطوطات مكتبة الامام أمير المؤمنين العامة ، مجمع الزوائد 9 / 194 ، أسد الغابة 2 / 18 ، الارشاد (ص 18) .

(7) أصول الكافي 1 / 463 ، خطط المقريزي 2 / 285 ، الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة 1 / 377 .

(8) المعجم الكبير للطبراني من مخطوطات مكتبة الامام أمير المؤمنين عليه السلام تحفة الأزهار وزلال الأنهار من مخطوطات مكتبة الامام كاشف الغطاء العامة ، خطط المقريزي 2 / 185 .

(9) إمتاع الأسماع (ص 187) ، أسد الغابة 2 / 18 ، الذرية الطاهرة .

(10) فتح الباري في باب مناقب الحسن والحسين .

(11) المقنعة ، التهذيب ، الدروس .

(12) كشف الغمة 2 / 216 ، تحفة الأزهار وزلال الأنهار .

(13) روى علي (ع) أن رسول الله (ص) قال : " من ولد له مولود فليؤذن في اذنه اليمنى ، وليقم في اليسرى فإن ذلك عصمة له من الشيطان الرجيم " وقد أمرني بذلك في الحسن والحسين ، وأن يقرأ مع الأذان والإقامة فاتحة الكتاب وآية الكرسي ، وآخر سورة الحشر ، وسورة الاخلاص والمعوذتين ، جاء ذلك في دعائم الاسلام 1 / 178

(14) الرياض النضرة .

(15) أسد الغابة 2 / 11 ، وفي تاريخ الخلفاء (ص 188) روى عمران بن سليمان قال : الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ، ما سمعت العرب بهما في الجاهلية .

(16) نهاية الإرب 18 / 213 ، الاستيعاب المطبوع على هامش الإصابة 1 / 368 ، تهذيب التهذيب 2 / 296 ، مسند أحمد بن حنبل .

(17) مسند الإمام أحمد بن حنبل .

(18) المعجم الكبير للطبراني .

(19) مسند الامام زيد (ص 468) ، تحفة الأزهار وزلال الأنهار ، وجاء في الذرية الطاهرة عن عائشة أن رسول الله (ص) عق عن الحسن والحسين شاتين شاتين ، وذبح عنهما يوم السابع ، وقال : اذبحوا على اسمه فقولوا : " بسم الله اللهم لك وإليك هذه عقيقة فلان " وروى هذه الرواية الحاكم في المستدرك 4 / 237 ، وطعن بها شمس الدين الذهبي في تلخيص المستدرك 4 / 237 وقال : إن راويها سوار وهو ضعيف ، وذهب مشهور الفقهاء إلى استحباب ذبح شاة واحدة في العقيقة .

(20) الرياض النضرة ، صحيح الترمذي ، نور الابصار .

(21) دعائم الاسلام 2 / 185 .

(22) الخلوق : طيب مركب من زعفران وغيره

(23) البحار 10 / 68 .

(24) جواهر الاحكام كتاب النكاح ، وجاء فيه أن رسول الله (ص) قال : " طهروا أولادكم يوم السابع فإنه أطيب وأطهر ، وأسرع لنبات اللحم ، وأن الأرض تنجس من بول الأغلف أربعين يوما . . . " .